سلسة "طب القلوب"

علاج داء الغرور

د/ عبد الحي الفرماوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر

الكتاب: علاج داء الغرور

تأليف: د/ عبد الحي الفرماوي

بريد إلكتروني: www.islamguidance.com

الناشر: دار أريج للنشر

4 شارع اليسر- متفرع من شارع مكة- الدقي.

ص.ب: 463 الدقي.

ت&ف: 3387836 ـ 3366963 ـ 3379910 (202)+

البريد الإلكتروني: info@areej.com.eg

موقعنا على الإنترنت: www.areej.com.eg

رقم الإيداع 17939 / 2003

الترقيم الدولي 8 - 26 - 6103 -977

الطبعة الأولى: 1424هـ ـ 2003م

دعوة

إذا كان لديكم فكرة أو عمل مميز، هادف، نافع، يخدم أمتنا العربية، في أي ميدان من ميادين العلم، فإن أريج يشرفها التعاون معكم.

علاج
داء الغرور

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه، واقتدوا به إلى يوم الدين. وبعد:

ونذكركم بأن علماء مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي قد أجمعوا في قرارهم رقم (5) عام 1988م أن:

"حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها".

الناشر
أريج للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

[لقمان: 18]

* * *

قالوا في الحكم

"من أطال الأمل: نسى العمل، وغفل عن الأجل، وركبه الغرور"

تساؤل .. واتفاق

عزيزي القارئ ..

هل أنت ممن يتحد ثون عن أنفسهم و أعـمالهم كثيرا، بداع لذلك و بغير داع..؟

وهل أنت ممن يحـبـون أن يتـرفـعـوا على الناس، أو يحبون أن يرفعهم الناس فوق مقدارهم، ويمجدونهم..؟

وهل أنت تحتقر الآخـرين أحيانا، أو تقلل من شأنهم، وتحط من قدرهم، و تسفه آراءهم..؟

و هل تجد في نفسك صعوبة في قبول الحق، و الانقياد له ،والتسليم بأنك على خطأ .. خاصـة إذا كان هذا الحق أو ذاك التنبيـه صادر عمـن يعرفك وتعرفـه، أو كان صغـيراً عنك، أو تابعًا لك؟.

*　*　*

إذا كان هذا.. قد حدث..؟

فأنت مـريض، وبقراءتك لهذا الكتاب: قـد بقى فيك خير كثير..!!

حيث إنك: تريد العلاج..

*　*　*

ولكن.. ما هذا المرض..؟

إنه عزيزي القارئ: مرض قلبي.

* * *

فهل تريد.. أن تَعِرف، وتتعَرف، على هذا المرض..؟

لا تخجل..

قل: نعم.. مرضاة لله تعالى..!!

* * *

وهل إن عرفت، وتأكدت- لا قدر الله- أنك مريض: عندك الاستعداد للعلاج من هذا المرض.. عن طريق (طب القلوب)..؟

لا تخجل..

قل: نعم.. مرضاة لله تعالى..!

* * *

إذن.. أدعوك- الآن- لقراءة هذا الكتيب..

فنحن.. من خلال صفحاته، وبعون الله تعالى، وإفادة من: القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالح، وكتابات العلماء العاملين..

نبين الداء..!!

ونصف الدواء..!!

ومن الله يكون الشفاء..!!

* * *

والله تعالى: يهدينا ويهديك، ويعافينا ويعافيك..

إنه سبحانه.. ولي ذلك، والقادر عليه.

ولكن .. ليكن في معلومك أيها القارئ: أنك لست وحدك المصاب بهذا الداء الوبيل.

بل هناك الكثير من المغرورين الذين يظنون بأنفسهم الخير، وهم مخطئون، بل مخدوعون في ذلك.. وأنت أفضلهم، لأنك تريد التعرف على هذا الداء، كما تريد العلاج منه و البعد عنه، و كذلك كل من يريد الشفاء من هذا المرض.

هؤلاء المغرورين أصناف وأصناف.

يذكرهم الأمام الغزالي في كتابه النفيس "الإحياء في علوم الدين"، ونحن نختصر لك منه ما يوضح أنواعهم على النحو الآتي[1]:

نقاط البحث

نتناول- بعون الله تعالى- طب هذا المرض في هذه النقاط..

(أ) تساؤل.

(ب) المصابون بالغرور.

(ج) أسباب الغرور.

(د) مخاطر وأضرار الغرور.

وذلك على النحو الذي تطالعه- شفاني الله وإياك منه- في الصفحات التالية:

المصابون بالغرور

1. إبليس.

و هو أول من أصابه الغرور، فتأبى على أمر ربه، حيث أمر بالسجود لأدم وهو مع الملائكة، ﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34].

فلما قال الله عز وجل له ﴿ما منعك إذا أمرتك﴾ ..؟

﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12].

2. الكفار.. وهؤلاء:

غرتهم الحياة الدنيا، ففتنوا بها، و جمعوا من متاعها، وقالوا: اليقين خير من الشك.. ولذات الدنيا يقين، ولذات الآخرة شك، فلا نترك الشك باليقين، وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، واستعبدوا خلق الله إرعابًا وإذلالاً.

يقول تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: 20].

وهؤلاء إليهم الإشارة بقوله عز وجل: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 86].

ومثال هؤلاء[1]:

قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم: إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظًا فيه وأسعد

حالاً، كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: 36].

وجملة أمرهما كما نقل في التفسير: أن الكافر منهما بنى قصراً بألف دينار وأشترى بستانًا بألف دينار وخدمًا بألف دينار وتزوّج امرأة على ألف دينار.

وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول: اشتريت قصراً يفنى ويخرب ألا اشتريت قصراً في الجنة لا يفنى؟ واشتريت بستانًا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانًا في الجنة لا يفنى وخدمًا لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت؟

ويرد عليه الكافر ويقول: ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو أكاذيب! وإن كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا.

وكذلك:

وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77] فقال الله رداً عليه: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: 78- 79].

وروى عن خباب ابن الأرتّ (في: البخاري، ومسلم) أنه قال: كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض، فقلت: إني آخذه في الآخرة؛ فقال لي: إذا

صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالاً وولداً أقضيك منه. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: 50].

وهذا كله من الغرور بالله.

وسببه قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه.

وذلك أنهم:

ينظرون إلى نعم الله عليهم في الدنيا... فيقيسون عليها نعمة الآخرة، وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: 8].

فقال تعالى جواباً لقولهم: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

ومرة ينظرون إلى المؤمنين؛ وهم فقراء شعث غبر.. فيزدرون بهم ويستحقرونهم، فيقولون: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: 53] ويقولون: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: 11].

وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون: قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا، وكل محسن فهو محب، وكل محب فإنه يحسن أيضًا في المستقبل كما قال الشاعر:

لقد أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقى

ولكن.. هيهات. هيهات..!!

3. العصاة من المؤمنين.

وهؤلاء غرهم بالله الغرور، وأهملوا الطاعة، والأعمال الصالحة، وترفعوا على خلق الله، واحتقروا غيرهم.

وهم يقولون: إن الله كريم، وإنا نرجوا عفوه، واتكلوا على ذلك، واستندوا على أن نعمة الله واسعة، ورحمته شاملة، وكرمه عميم، ويقولون: أين معاصي العباد في بحار رحمة الله؟

وإنا- بالرغم من المعاصي- موحدون، مؤمنون..

وهؤلاء: منهم المخدوعون، ومنهم المغالون، ومنهم، ومنهم.

وقد أفاض الإمام الغزالي عليه رحمة الله في بيان أصناف هؤلاء العصاة[1].

أسباب الغرور

1. الإفراط في التدليل زمن الطفولة.

وذلك: يكون من الأهل، خاصة إذا كان هذا الإنسان ولدهم الوحيد، الذي تجاب كل مطالبه، فينشأ وكأن الدنيا كلها ملك يديه، بل يسيطر عليه أنه أفضل من في الكون، وتتغلب عليه هذه النزعة، التي تؤدي به إلى خداع النفس وإصابتها بالإعجاب والغرور، وبخاصة إذا أصبح ذا شأن في المجتمع أو صاحب مال أو منصب، أو جاه مرموق.

هذا: وليس بالضرورة.. أن يكون كل مدلل زمن الطفولة مغروراً.. حيث إن هذا التدليل لا يؤدي بأحد إلى الغرور إلا إذا كان لديه الإستعداد الفطري لذلك.

2. الإنخداع بالحياة الدنيا والركون إليها

وذلك: يكون عند من تبهره الدنيا بزخرفها، وتشغله بزينتها، دون أن يعرف حقيقتها، ويضعها في مكانتها، بل ينغمس فيها، ويفتن بزينتها، ويركن إليها، ويعجب بنفسه لتفوقه فيها، وامتلاكه لمتاعها، ويهمل بالتالي مراقبة نفسه؛ فيقع في المعاصي، ويؤخر التوبة، ويصاب بالغرور.

وقد نبه القرآن لهذا السبب وحذر منه، حيث يقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ

عَن وَلَده وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَـازٍ عَن وَالده شَيْئًـا إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33].

3. الإسراف في الأماني وطول الأمل.

وذلك: يكون عند من يسرف في الأماني، وهي خدع الشيطان، يحلم بهـا المرء، ويتمناها، ويعيش معـها، وينسى حق الله تعالى، وحسن معاملة الآخرين، حتى يغتر ويتعالى عليهم.

يقول تعـالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِـقُونَ وَالْمُنَافِـقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَـكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَـانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 13، 14].

وقال بعض الـعلماء[2]: إن للباقي بالمـاضي معتـبراً، وللآخر بالأول مزدجـراً، والسعيد من لا يغـتر بالطمع، ولا يركن إلا الخُدع.

ومن ذكر المنية : نسي الأمنية.

ومن أطال الأمل : نسى العـمل، وغفل عن الأجل، وركبه الغرور.

4. الشيطان

وذلك: يكون حيثما ينخدع الإنسان بوساوس الشيطان وزخارفه، واستجابته لها.

(أ) وهو الذي خدع آدم عليه السلام، حينما وسوس له وهو في الجنة بالأكل من الشجرة المحرمة..

يقول تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 19، 22].

(ب) يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ [الأنعام: 112].

(ج) ويقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: 118].

(د) وهو الذي يتربص بالإنسان ليفتنه عن الهدى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16، 17].

و من صور الخداع بالشيطان. .

أن ينظر المغرور إلى نعم الله عليه في الدنيا. . فيقيس عليها نعم الآخرة؛ فيقول: قد أحسن الله إليَّ بنعيم الدنيا، وكل محسن محب، وكل محب محسن دائما.

وكذلك ينظر المغرور إلى تأخير العذاب عنه في الدنيا. . فيقيس عليه عذاب الآخرة، فيقول: قد أخذ الله عنى العذاب في الدنيا ولم يعذبني، ولن يعذبني في الآخرة.

وأيضا: ينظر- مرة ثالثة- إلى المؤمنين في الدنيا وهم فقراء فيحتقرهم . . ويقيس عليه وضعهم في الآخرة، فيقول: ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ؟. .

ولذلك. . فنحن على الحق، وليس هم.

وكل هذا فاسد، لأنه من أقيسة إبليس- عليه لعنة الله الذي قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12].

5. إهمال النفس وعدم محاسبتها.

وذلك: أنه من المعلوم "أن كل بنى أدم خطاء" لا محالة، ومن أراد النجاة من مضار هذه الأخطاء لا بد له من مراجعة النفس، ومحاسبتها على هذه الأخطاء، والتوبة منها بصفة مستمرة.

ومن هذه الأخطاء الرذيلة: الغرور.

فإذا أهمل نفسه، ولم يتب من هذا الخطأ، ويصلح نفسه: تمكن الداء منه، وتحول إلى احتقار للآخرين.

وقد نبه القرآن إلى ذلك.. في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: 18].

6. عدم مناصحة الآخرين له[3].

من المعلوم: أن "المؤمن مرآة المؤمن"[4]، وأن "الدين النصيحة[5]".

ولذلك: إذا لم يجد المغرور من ينبهه على غرقه ازداد غرقا على غرق، كما أنه إذا لم يجد الناصح الامين الذكي استمر في غيه وضلاله.

ومن هنا: كان من واجب الأخـوة في الإسلام، ومن مبادئ التعاون على الخير و البر والتقوى: التناصح.

كما أنه من المعلوم أن الإنسـان قد لا يتغلب على هذا الداء والتخلص منه إلا بمساعدة المخلصين.

ومن هنا: كانـت النصيحـة من الآخرين للمـغرور.. خير عون له على التخلص من هذا الداء الوبيل.

وهذا: أمر لا يستهان به.. خاصة وأن المخلصين قد لا ينتبـهون إلى هذا الواجب، فيـقعدون عن أداء دورهم فـيه، وحينئذ يتمكن هذا الداء من صاحبه، ويصعب علاجه.

مخاطر وأضرار الغرور

وللغرور مخاطر ومفاسد كثيرة على صاحبه.. فردا كان أو جماعة، أو أمة.

(أ) فمن مخاطره و أضراره على الفرد.

1. أن صاحبه يصاب بداء الجدال ولو بالباطل.

حيث إن المغرور- لحبه لذاته، ورؤيته لعمله، واحتقاره للآخرين وعملهم- يحاول دائما الانتصار لنفسه، والغلبة لها بالحق أو بالباطل، ويزين له الشيطان أن أفضل وسيلة لهذا الغرض هي المراء والجدال، فيقع فيه، وتضيع عليه الصالحات و الأوقات ويذهب العمر سدى.

وفى الحديث: "ما ضَلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"(6).

2. كما أن صاحبه يصاب بداء .. التكبر في الأرض بغير الحق(3).

حيث إن الغرور حين يتمكن من النفس يتحول من مجرد استصغار للآخرين، إلى ترفع على الغير، وللترفع والتكبر أضراره.

حيث يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: 37].

ويقول أيضًا: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

وفي الحديث الشريف: "تقول النار: أوثرت بالمتكبرين"[7].

3. ويصاب كذلك بآفة الاستبداد بالرأي[3].

حيث إن المغرور لرؤيته لنفسه، يعتقد أن ما يصدر عنه كله صواب لا خطأ فيه، وأن ما يصدر عن الآخرين كله خطأ لا صواب فيه.

ومثل هذا: إذا دعي إلى حق عز عليه النزول عليه، والإذعان له.. فيبقى مستبدًا برأيه.

واستبداده برأيه يجعله يعيش في حياته غارقًا في أخطائه، حتى يهلك مع الهالكين.

4. دخولهم النار.

حيث إن مثل هذا الشخص لا يميز بين ما ينفعه وما لا ينفعه.. فتكثر أخطائه وتتعاظم، وقد لا يتوب منها، ولا يرجع عنها، فيكون مصيره إلى النار والعياذ بالله.

يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ * ذَلِكُم

بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: 34، 35].

(ب) ومن مخاطره على الجماعة والأمة.

1. الإصابة بالطغيان.

حيث إن غرورها بسبب امتلاكها لمتاع الدنيا، أو تقدمها في زخرفها، وتفننها في أدوات زينتها.. وهذا نتيجة الغنى الذي وصلت إليه.

يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6، 7].

2. وقوع الهلاك.

حيث إن هذا الطغيان.. إفساد في الأرض، ونتيجته بالضرورة.. هي الهلاك.

ومثل هذا حدث لقوم عاد، على سبيل المثال.

يقول تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 128، 129].

ومثل هذا أيضًا حدث لثمود قوم صالح.

يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ

الجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّه وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ
* قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ
آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا
أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ
كَافِرُونَ * فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ
ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 74 - 78].

علاج الغرور

يلاحظ ابتداءً: أنه مهما تعاظم الداء.. فلن يكون أبدًا عسير الشفاء منه أمام رغبة المريض وصدق عزيمته، واستعانته بالله تعالى في التخلص منه.

وهذه بعض الوسائل التي تساعد على الوصول لهذا الغرض[3].

1. النصيحة الحكيمة.

وتكون من المحيطين به، المحبون له، والمخلصين لله في نصيحتهم للمغرور.

حيث ينبغي أن تكون بأسلوب شفيق رقيق مناسب، وفي الوقت المناسب، لا تعنيف فيها ولا تأنيب، ولا احتقار فيها ولا تصغير.

وبهذا: أكد الإسلام على النصيحة.

ففي الحديث: "الدين النصيحة، قلنا لمن..؟ قال ﷺ: لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"[5].

2. معرفة منزلة الدنيا من الآخرة.

وبما أن معظم الغرور.. يكون بسبب الدنيا: فإن معرفة قيمة الدنيا ومنزلتها بالنسبة للآخرة: يعد مفيدًا للعلاج من هذا الداء.

ولذلك: نجد القرآن الكريم: يذم الدنيا، ويحذر منها.. إذا اتخذها الناس هدفًا وغاية.

يقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: 20].

ويقول سبحانه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45].

ويقول تعالى منبهًا على الأفضل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 16، 17].

وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو بهذا الدعاء: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، وأجعله الوارث منا، وأجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"(8).

3. ضرورة معرفته لحقيقة نفسه[9].

حكي أن رجلاً من الصالحين رأى أحد الناس يمشي الخيلاء.. فقال له: ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟

قال الرجل: أما تعرفني..؟

قال الصالح: بل أعرفك.. أولك نطفة مذِرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة.

فأخذ الشاعر هذا الكلام ونظمه، فقال:

عجبت من معجب بنفسه
وكان بالأمس نطفةٌ مَذِرَة
وفي غد بعد حسن صورته
يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تِيهِهِ ونَخْوته
ما بين ثوبيه يحمل العَذِرَة

وقال الأحنف بن قيس:

عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يغتر؟

وقال بعض الشعراء يصف الإنسان:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته
انظر خلاك فإن النَّتْن تثريب
لو فكر الناس ما في بطونهم
ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثلُ الرأس مكرمة
وهو بخَمْسٍ من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سَهِك
والعين مُرْفضَةٌ والثغر ملعوب
يا بن التراب ومأكول التراب غدًا
أقصر فإنك مأكول ومشروب

4. الوقوف على عواقب الغرور

حيث إن معرفة العواقب مما يحول النفس من داخلها- إن كان لا يزال فيها خير- إلا أن تسعى جاهدة إلى التخلص من هذا الداء، قبل أن يأتي يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، ويتمنى الإنسان الرجوع إلى الدنيا فلا يستجاب له.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99، 100].

5. معرفة أخبار الصالحين ودراسة سيرهم.

حيث إن ذلك مما يحرك الهمم للإقتداء بهم.

جاء عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أكمل الناس إيمانًا، قوله: "لو يعلم الناس ما أنا فيه لأهالوا علي التراب".

وهذا الإمام الشافعي، الذي وصفه الإمام أحمد بن حنبل بقوله: كان كالشمس في الدنيا والعافية للناس.

لما حضرته الوفاة: سأله بعض أصحابه، قائلاً: كيف أصبحت..؟

قال: "أصبحت عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله عز وجل واردا، ولا أدري أيؤمر بي إلى الجنة، أو يؤمر بي إلى النار، ثم أنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما

6. محاسبة النفس.

حيث إن ذلك مما يساعد على التخلص من الأمراض، والأخلاق الذميمة.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "الكيس: من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"[10].

7. الاستعانة بالله تعالى في التخلص من هذا الداء.

حيث إنه سبحانه يعين من دعاه، ولا يخيب من قصده ولجأ إليه ولاذ به.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

المصادر.. والفهارس

* مصادر البحث.
* فهرس محتويات البحث.

المصادر.. والحواشي

1. انظر: الإمام الغزالي.. إحياء علوم الدين 468/3 وما بعدها.

2. القرطبي.. الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الحديد: الآية: 4).

3. د. سيد نوح.. آفات على الطريق 129/1.

4. روه أبو داود.. ك: الأدب، باب في النصيحة.

5. رواه: مسلم.. ك الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

6. رواه: الترمذي.. ك التفسير، باب ومن سورة (الزخرف).

7. رواه: البخاري.. تفسير سورة (ق).

8. رواه: الترمذي.. ك: الدعوات.

9. الماوردي.. أدب الدين والدنيا.. 231 وما بعدها.

10. رواه ابن ماجة.. ك: الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له.

فهرس محتويات البحث

* تساؤل.. واتفاق 6
* المصابون بالغرور 10
- إبليس 10
- الكفار 10
- العصاة 13
* أسباب الغرور 14
- الإفراط في التدليل زمن الطفولة 14
- الإنخداع بالحياة الدنيا 14
- الإسراف في الأماني وطول الأمل 15
- الشيطان 16
- إهمال النفس 18
- عدم التناصح 18
* مخاطر واضرار الغرور 20
(أ) على الفرد 20
- الجدال 20
- التكبر 20
- الاستبداد 21
- دخول النار 21

(ب) على الأمة 22
- الطغيان 22
- الهلاك 22
* علاج الغرور 24
- النصيحة 24
- معرفة قيمة الدنيا 24
- معرفة النفس 26
- معرفة عواقب الغرور 27
- معرفة أخبار الصالحين 27
- محاسبة النفس 28
- الاستعانة بالله تعالى 28

فهارس البحث

* مصادر البحث وهوامشه 30
* محتويات البحث 31